

الى مؤتمر الفردوسى

٣ - بين القاهرة وطوس

من همدان الى طهرانه

للدكتور عبد الوهاب عزرام

ثم مررنا بكنسكاور بعد ساعتين من كرمانشاهان . وهي قرية صغيرة بها آثار معبد قديم . وبعد ساعة مررنا بقرية أسد آباد ، وهي قرية السيد جمال الدين الأفغانى ، وبها بعض قرابته . كذلك أخبرنى بعض النفاة . ويقول الأفغانيون إنه من أسد آباد القرية من مدينة كابل . وكذلك أخبر السيد عن نفسه . وبمهما يكن فقبیح أن تتنازع رجال الإسلام العظام عصبية الأقسام والبلدان . فقد كان المسلمون أمة واحدة لها موطن واحد هو دار الإسلام ، والسيد جمال الدين عربى هاشمى حسينى ، ولكنه كما قال الشاعر

أبى الإسلام لأبلى سواه إذا افتخروا بقبس أو تميم
فتحن بنو الإسلام والله واحد وأولى عباد الله بالله من شكر

فإن أراد المسلمون أن يفترقوا أقواماً وبلداناً وشيماً ، فلا يظلموا أسلافهم العظام بزجهم فى هذا المعترك ، فقد كانوا أعظم نفوساً وأسمى أفكاراً من أنت تحيط بهم عصبية اللحوم والدماء ، والأرض والبناء

وأسد آباد قرية أسسها أسد بن ذى السرو الحميرى فى زعم الرواة ، وهي على مرحلة من همدان الى الجنوب والغرب منها ، فى حضيض جبل ألوند (جبل أسد آباد) ، وكانت منزلاً كبيراً على الجادة العظمى بين بغداد وحمدان ، وكانت فى العهد الإسلامى الى عصر المغول غنية رائجة التجارة ، كثيرة السكان ، نشأت كثيراً من العلماء . وهي اليوم قرية صغيرة . وعندها كانت الموقعة الكبيرة بين السلطانين السلجوقيين محمود بن محمد بن ملكشاه وأخيه مسعود سنة أربع عشرة وخمسة . وعلى ثلاثة فراسخ من أسد آباد أبنية ساسانية تعرف فى الكتب العربية باسم مطايخ كبرى

ثم ارتقىنا جبل أسد آباد ، وهو جبل شامخ فسيح ، تراءى بين قمه وأوديته مناظر جميلة جليلة ، محبوبة هائلة ؛ رأينا وقد ذبلت أعشابه ورياحينه وأشجاره . وقيل لنا إنه فى الربيع يبدو فى حلق رائحة من الأزهار مختلفة الألوان ، لا يعرى منها مكان

فى القمم والأودية ، وترى الطرق جدائداً على سفح الجبل ، تتمتع فيها السيارات صاعدة وهابطة ، وقد عدت سائقو السيارات فى بعض الطريق اثنتين وسبعين نبتة ، فما ينطف السائق الى اليمين إلا لينطف الى اليسار ، وهكذا اثنتين وسبعين مرة أو أكثر . ولكن الطريق فى جملتها ممهدة واسعة مأمونة ، لم نشعر فيها بالخوف الذى أنذرنابه من قبل

هذه همدان الجميلة ، فى حجر جبلها الأشم ، جبل ألوند . تبدو فى زينة من أشجارها الباسقة ، وبساتينها الواسعة . هذه بلدة بدیع الزمان ، وأحمد بن فارس ، وابن الفقيه . هذا مرقد الشيخ الرئيس أبى على بن سينا ، ليت الوقت يتسع فنقضى بهمدان أياماً نتعرف حاضرها ، وتلمس أعلام التاريخ من ماضيها

همدان مدينة عظيمة قديمة ، ذكرت فى الآثار الفارسية القديمة باسم هگمتانه ، وهي فى التوراة أمختنا ، وفى كتب اليونان أكتانا . وقد لجأ اليها دارا بعد أن هزمه اسكندر فى موقعة « أربيل » حتى قال ابن حوقل إنها كانت هى وأرباضها فرسخاً مربعاً . وصارت حاضرة لبعض دول السلاجقة . وقد روى ابن الفقيه الهمداني وياقوت كثيراً من أخبارها وما قاله الشعراء فيها ، وبردها شديد جداً . وقد روى فى ذلك أن عبد الله بن المبارك قدسها ، فأوقدت بين يديه نار ، فكان إذا سخن باطن كفه أصاب ظاهرها البرد ، وإذا سخن ظاهرها أصاب باطنها البرد فقال :

أقول لها ونحن على صلاء أما للنار عندك حرّ نار
لئن خيّرت فى البلدان يوماً فما همدان غنسى بالختيار
وقال آخر :

همدان متلغة النفوس يبردها والزهر رر ، وحرها مأمون
غلب الشتاء مصيفها وربيمها فكأنما تموزها كانون
وقيل لأعرابي كيف رأيت همدان ؟ فقال أما نهارهم فرقاص ،
وأما ليلهم فخال ، يعنى أنهم بالنهار يرقصون لتدفأ أرجلهم ،
وبالليل يحملون ثياباً كثيرة

دخلناها والساعة واحدة بعد الظهر ، فزلنا فى دار بظاهرها ، اسمها باغ رئيس الإسلام ، وهي دار جميلة ذات حديقة كبيرة ، وفيها مجلس واسع حول حوض عظيم . نزلنا بها فاسترحنا وتدينا ، وجلسنا برهة وأخذت صورتنا

وقدرأيت صاحبتنا السندباد الذى ذكرته آنفاً ترتب الحاضرين

وبعد ساعة نزلنا منزلاً على الطريق اسمه رزان ، وقد أعد لنا الشاي والفاكهة ، والفستق والمخس واللوز الخ ، فرأينا ضرباً من المخس والفستق كبيراً لم ير مثله من قبل . وكان سير ديسن رُس ، والشاعر الانكليزي ديرنك وو تر قد سبقا إلى هذا المنزل ، إذ قارفا هذان قبل الركب دون أن يزورا قبري ايستر ومردخاي ، فطال بهما الانتظار في هذا المنزل ، فلما بلغتة أنا ورفيقي عبد الكريم الحسيني قابلني أستاذي رُس دهشاً يقول : لماذا تأخرتم ! هل زرتم ايستر ومردخاي ! قلت نعم . قال هل أتى فلان هناك محاضرة طويلة ؟ قلت محاضرة قصيرة . قال ذلك ما ظننت . قد تأخرنا جداً وأظلم الليل . ثم سرنا قبل أن يدر كتنا الرفاق في طريق موحشة تتخللها قرى وضياع قليلة ، منها مكان اسمه آب گرم أي الماء الحار فيه حمّة ، أي ينبوع ماء حار . وقفنا للاستراحة ورؤية ينبوع ، فركنا السيارة ومشينا وراء رجل يحمل مصباحاً حتى أتينا النبع ، فإذا حجرة فيها حوض يقور منه الماء ، نقلت لصاحبي : ما أحسنه حماماً لو هي له بناء . وكم في الشرق من معادن ومياه أغفلتها الأفكار والأبدى ! واستأنفنا السير ، وظال بنا السفر ، حتى لاحت قزوين تحت ظلام الليل ، فوردناها متعبين والساعة تسع ونصف من المساء ، وقدم بقية الركب بعد ساعة . بتنا في دار جميلة بجانب كنيسة روسية . وقد وهبت الدولة الروسية هذه الدار والكنيسة وما يتصل بهما للدولة الإيرانية

وقزوين بلد قديم ذكره بطليموس باسم قساين . وهي على الحادة العظمى من بغداد إلى خراسان ، وتلقى عندها طرق القوافل الآتية من الشرق والغرب والشمال والجنوب ، فمن أجل ذلك اتسع عمرانها في القديم وراجت تجارتها ، وهي على مقربة من جبال ألبرز ، ويجرى عندها نهر صغير يفضى إلى نهر أبهر ، وتبعد عن طهران مائة وخمسين كيلاً

وكانت قبل الإسلام وبعدة ثغراً لمحاربة الديلم . وقد مصرها سعيد بن الماص بن أمية ، وجعلها مقرى أهل الكوفة . وأغزى الحجاج ابنه محمداً الديلم ، فنزل قزوين وبني بها مسجداً سمي بعد مسجد الثور . وبني موسى الهادي مدينة مجوارها عرفت بمدينة موسى . وبني المبارك التركي مولى المأمون والعصم حصناً بها سماه المباركية . وروى ياقوت « اجتاز الرشيد بهمدان ، وهو يريد خراسان ، فاعترضه أهل قزوين ، وأخبروه بمكانهم من العدو ، وعناهم في مجاهدته ، وسألوه النظر لهم ، وتخفيف ما يلزمهم

لأخذ الصورة . فقلت يا سنباد أنت في كل مكان ولكل عمل . انك أبو الفتح الأسكندري أو أبو زيد السروجي ، فقال الأستاذ منورسكي : هذا ابن بطرطة . وبما أذكر من لطائف هذا المجلس أن أحد مندوبي الهند محمد اسحاق ، نظر إلى أشجار غيب قصار ، فسألني ما هذا ؟ قلت كرم ولكنه صغير ، فقال إذا ما كذب الثعلب في الحكاية المعروفة ، حين قال هذا حصرم . فغيب هذا الكرم في متناول الثعالب . ثم خرجنا لزيارة قبر الشيخ الرئيس ، دخلنا الباب إلى رجة تنتهي إلى باين أيسرها باب مكتبة صغيرة عامة ، والأيمن مكتوب فوقه « آرامگاه أبو علي بن سينا » أي مرقد أبي علي بن سينا . دخلنا حجرة صغيرة بها قبران متشابهان يغطى كلا منهما صفيحة واحدة من الحجر عليها نقوش كثيرة . ويحيط بها سياج من حديد . فالقبر الذي يلي الباب قبر الشيخ الرئيس ، والذي إلى جانبه قبر رجل اسمه أبو سعيد . قل بعض أصحابنا إنه أبو سعيد بن أبي الخير الصوفي المعروف . وليس هذا صدقاً فابن أبي الخير مات في خراسان

ثم ذهبنا لزيارة مزار هنالك يعظمه اليهود ومحجون إليه ، ومن أجله كثر عديمهم في همدان حتى صاروا زهاء ألفين — وهو في زعمهم قبرا ايستر ومردخاي . وهما امرأة ورجل من اليهود ، لها قصة في التوراة في « سفر ايستر » . وخلاصة القصة أن ايستر كانت في حضانة ابن عمها مردخاي في مدينة سوس ، وأن ملك الفرس أخشوريش غضب على امرأته وشتى ، وأراد أن يختار غيرها ، فمرضت عليه فتيات مملكته ، فاختار ايستر اليهودية وحظيت عنده . وكان هامان وزير الملك قد نعم على مردخاي أنه لا يسجد له كما يسجد الناس ، فأغرى الملك باليهود وأخرج أمره بقتلهم حينما تفقوا في الملكة . وكاد مردخاي وايستر لهامان حتى أمر الملك بصلبه على الخشبة التي أعدها هو لصلب مردخاي ، وكتب الملك إلى الولاة ألا ينفذوا أمره في اليهود وأن يسلطوا اليهود على أعدائهم فيقتلهم

والقبران كبيران عليهما سياجان ، وهما في حجرة ذات قبة لها مدخل صغير واطلى لا يدخله الداخل إلا راء كما قضينا في همدان ثلاث ساعات ونصف ، ثم برحناها والساعة

أربع ونصف ، متوجهين لتقاء قزوين

برحنا همدان ، وما قضت النفس منها لبانة

وتلفتت عيني فدخيت عني الطلول تلفت القلب

الجغرافيا ، التوفى سنة ٧٥٠ ، وأبو حاتم محمود بن الحسن الفقيه الشافعي أخذ عن الأسفرائيني والباقلاني ، وأخذ عنه الشيرازي وله كتب كثيرة ، منها كتاب الحيل في الفقه وتوفى سنة ٤٤٠ ، ومنهم الحكيم شاه محمد ، الذي أخذ عن جلال الدين الدواني ، وذهب الى مكة للحجورة فدعاه السلطان بايزيد الثاني الى استانبول فعاش في رعايته ورعاية سليم وسليمان من بعده ، وكتب التفسير والمقائد والفلسفة ، وترجم حياة الحيوان للدميري الى الفارسية

تركنا قزوين والساعة تسع ونصف من صباح الأربعاء ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٥٣ (٣ أكتوبر سنة ١٩٣٤) ، فلفنا طهران بعد الظهر ، ونزل بجماعة منا في الفندق الكبير (جراند أوتيل) وآخرون في الفندق النادري

عبد الوهاب عزام

من عشر غلاتهم في القصبية . فسار الى قزوين ودخلها ، وبني جامعها ، وكتب اسمه على باب في لوح حجير . وابتاع بها حوانيت ومستغلات ، ووقفها على مصالح المدينة ، وعمارة قبتها وسورها . وقد ذكرها بديع الزمان باسم الثغر ، في القامة القزوينية التي أولها ، غزوت الثغر بقزوين ، سنة خمس وسبعين . وروى بعض المحدثين أخبارا في فضائل قزوين ، والحث على الإقامة بها لكونها من الثغور . وقد ذكرت في الشعر العربي . ومن ذلك قول الطرماح ابن حكيم

خليل مد طرفك هل ترائي طمأن باللوى من عوكلان
ألم تر أن عرفان الثريا يهتج لي بقزوين احتزاني
وقد نشأت قزوين جماعة من العلماء والأدباء ، منهم زكريا ابن محمد صاحب عجائب المخلوقات المتوفى سنة ٦٨٢ ، وحمد الله البستوفي المؤرخ صاحب تاريخ كزينة ، ونزهة القلوب في

لجنة التأليف والترجمة والنشر

ضحايانا الأطفال

هو المند الأول

من سلسلة مكتبة المعلم

التي ستصدرها اللجنة

لبسط أحدث الأساليب والاتجاهات

في التربية والتعليم

لاغنى عن هذه السلسلة لكل معلم يريد أن يتخلى مع روح العصر

المشرف على إصدارها : اسماعيل محمود القياني الأستاذ بمعهد التربية

مرب الكتاب الأول : محمد عبد الواحد خلاف مدير إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية

« يصدر هذا الكتاب في يوم الخميس ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٤ »